(١١) اجتماع ...

رن الهاتف الجوال الخاص بإبن الرئيس الذى القى نظرة سريعة على شاشته ثم وضعه على أذنه وهو يضغط زر فتح الاتصال قائلاً :

- مرحبا يا أمي .. كيف حالك (ثم توقف للحظات تابع بعدها) .. لا .. لا تقلقي .. هناك فريق طبي كامل على أعلى مستوى موجود فى غرفته الان ويتابعه لحظة بلحظة ... لا ... لا داعي لقطع زيارتك الرسمية لبريطانيا .. سيثير هذا تساؤلات كثيرة .. لا داعي .. استمري فى جدول أعمالك بصورة طبيعية جداً .. وسوف اوافيكي بحالته كل نصف ساعة (ثم عاد الصمت يلف المكان للحظات قال بعدها) .. لا تقلقي يا أمي .. الشرطة تتعامل الأن بمنتهى الحسم مع كافة المتمردين وأنا مجتمع الأن مع رئيس الديوان ورئيس البرلمان والمستشار رئيس المحكمة الدستورية ورئيس الوزراء .. وبعد قليل سينضم الينا وزير الدفاع ومسئول الأمن القومي وسيكون كل شئ على ما يرام مع نهاية هذا اليوم العصيب ... حسناً ... سأعواد الاتصال بكِ بعد نصف ساعة من الأن .. آراك على خير..

ثم أنهى الاتصال ونظر بعيدا للحظات قائلاً وكأنما يحدث نفسه :

- يبدو أن الربيع العربي المزعوم يدق بابنا ..

ثم نظر الى الجميع مضيفاً :

- لم أكن أتصور أبداً أن التقليد من الممكن أن يصيب الشعوب .. البداية تونس ثم مصر ثم ليبيا ثم اليمن ثم .. ثم .. ثم يبدوا وأنه اصابنا الدور (وفى لهجة حاول ان يحافظ على ثباتها متسائلا) ما هى مقترحاتكم للخروج من الأزمة الراهنة ؟

اجابه رئيس الوزراء فى توتر:

- الحقيقة ان الشرطة تقوم بصد المتمردين بكل قوتها وامكانيتها ولكن الاعداد تتزايد بشكل كبير للغاية .. و...

صمت للحظة فتسائل الابن بوجه جامد :

- و.... وماذا ؟

إندفع رئيس الوزراء قائلا :

- الحقيقة يا سيدى أن القوة ليست هى الحل الوحيد لحل الازمة .. لابد أن يواكبها تحرك على جميع الاطراف ... مثل تنفيذ حزمة من الاجراءات الحاسمة والفعالة التى نكسب بها رضا الشعب .. و

قاطعه الابن متسائلا فى لهجة شبه ساخرة :

- هل تريد للحكومة أن تستقيل ؟؟

هتف رئيس الوزراء :

- لا .. لا .. ليس من الضرورة أن ..

وهنا قاطعه رئيس الديوان بصوت حاسم :

- بل من الضرورى اتخاذ هذا الاجراء وفوراً .. لابد من تنفيذ قرارات سيادة الرئيس..

ارتسمت شبح ابتسامة ساخرة على وجه الابن وهو يقول فى برود :

- أية قرارات ..

أجاب رئيس الديوان فى دهشة :

- القرارات التى اصدرها فى التو وهو على فراش المرض .. انها قرارات كفيلة بتهدئة الاوضاع و..

قاطعه ابن الرئيس فى خشونة وصرامة :

- كيف تجرأت وخالفت أوامري بخصوص عدم ابلاغ الرئيس بأى مشاكل قد تضر بسلامة صحته ..

احمر وجه رئيس الديوان وهو ينظر الى الابن ثم يقول بشئ من التحدي :

- لأننا فى موقف خطير يجب أن يعلمه الرئيس ويدرك ابعاده حتى يتخذ القرار المناسب .. ولم أقترف أى خطأ .. نعم .. أبلغت الرئيس .. لأنه الرئيس .. وهو المسئول الاول عن اعادة ترتيب الدولة داخليا..

قال الابن فى سخرية لاذعة :

- يبدوا أن ادراكك العقلي لم يستوعب من هو المسئول..

هتف رئيس الديوان :

- أعترض على هذا الاسلوب ..

صاح الابن :

- اعتراضك مرفوض .. وليس لدى أى وقت للمجادلة معك فأنت لم ولن تفهم أن الرئيس أصبح طاعن فى السن ولم يعد يتحمل مسئوليات السلطة..

قال رئيس الديوان فى حنق بالغ :

- للأسف أنتم تعاملتم معه على هذا الاساس لفترة طويلة حتى أصبح معزولاً عن شعبه.

وفى حركة سريعة رفع الابن يده أمامه قائلاً فى حسم وغضب :

- كفى .. أنت لم تعد تصلح للعمل معنا ..

رد رئيس الديوان وهو يدخل يده فى جيبه ويخرج ورقة بيضاء مطوية :

- لا داعي لكلماتك هذه .. استقالتي جاهزة .. (ثم وضعها فوق منضدة صغيرة على مقربة منه وإستطرد) واحب أن اقول لك حسب جدول أعمال

الرئيس أن هناك لقاء مع وفد ايطالي رفيع المستوى فى الثامنة مساء اليوم بالاضافة الى افتتاح مشروع تحلية مياه البحر صباح الغد ..

ثم استدار بجسده ليرحل فصاح الابن :

- الى أين أنت ذاهب ؟؟

التفت رئيس الديوان وعلى ملامح التساؤل وهو يقول :

- ألم تنتهي مهمتي ؟

قال الابن بحسم وصرامة :

- أثناء قدومي الى هنا اعطيت تعليماتي الى مدير الأمن بالقصر بألا يخرج أحد مهما كانت الاسباب إلا بأمر مباشر منى بالاضافة الى مراقبة كافة الاتصالات الصادرة والواردة وهى اجراءات الهدف منها عدم تسريب خبر مرض الرئيس ..هذا الى جانب مراجعة عملية تأمين القصر بشكل كامل فى حالة تعرضنا لأى هجوم محتمل..

ساد الصمت للحظات قال رئيس الديوان بعدها وهو يتنهد بعمق:

- حسناً .. سأنتظر فى مكتبي ..

ثم دار على عاقبيه مبتعدا بخطوات عصبية سريعة..

فلم يكن لديه ما يفعله..

سوى الصمت والخضوع والاستسلام ..

لأنه يعلم تماماً أن مواجهة الابن لن تكون أبداً فى صالحه ..

وقد تتعرض حياته للخطر..

أو بمعنى أدق ..

للقتل ..

*****

التفت الابن الى الموجودين قائلاً بلهجة تحدي مستفزة :

- هل لدى أى منكم اعتراض على أسلوبي ..

تبادل الجميع نظرات صامتة الى ان قال رئيس البرلمان فى صوت حاول أن يكون رصيناً :

- سيدى .. ليس هناك اعتراض على اسلوبك أو شخصك ولكننا فى موقف يحتم علينا جميعاً أن نتكلم فى أمور قد حان الوقت لمناقشتها دون أى حرج ..

حدجه ابن الرئيس بنظرات نارية وبدا وكأنه سينفجر فى وجه الجميع ولكنه اندفع فى غضب مكتوم :

- هل ستكلمنى أيضا عن المهاترات التى تفوه بها رئيس الديوان .. هل ستقول لى بأن والدي اصدر قراراته وعلينا أن ننفذها ..

وهنا هتف المستشار رئيس المحكمة الدستورية العليا :

- بالنسبة إلىّ الرئيس لم يقل شئ .. ولم أسمع شئ ..

التفت اليه رئيس البرلمان قائلاً :

- بالضبط .. (ثم عاد والتفت الى ابن الرئيس مكررا) بالضبط .. الرئيس لم يقل شئ لأنه كان مريضاً .. وفاقداً للوعي والإدراك ..

قال المستشار مكملاً :

- بلغة الدستور لديه مانع من ممارسة مهام وظيفته

نقل ابن الرئيس نظره بين رئيس البرلمان والمستشار وقد بدأ يفهم مغزى كلامهما فضاقت عيناه وهو يسأل :

- ماذا تقصدان بالضبط ؟؟

اندفع المستشار قائلاً:

- يقول الدستور فى هذه الحالة انه إذا استحال على رئيس الجمهورية أن يمارس مهامه بسبب مرض خطير ومزمن، يجتمع المجلس الدستوري وجوبا، وبعد أن يتثبت من حقيقة هذا المانع بكل الوسائل الملائمة، يقترح بالاجماع على البرلمان التصريح بثبوت المانع. يعلن البرلمان، المنعقد بغرفتيه المجتمعتين معا، ثبوت المانع لرئيس الجمهورية بأغلبية ثلثي أعضائه، ويكلف بتولي رئاسة الدولة بالنيابة مدة أقصاها خمسة وأربعون يوما رئيس البرلمان الذي يمارس صلاحياته .. وفي حالة استمرار المانع بعد انقضاء خمسة وأربعين يوما، يعلن الشغور بالاستقالة وجوبا وفي حالة استقالة رئيس الجمهورية أو وفاته، يجتمع المجلس الدستوري وجوبا ويثبت الشغور النهائي لرئاسة الجمهورية. .. وتبلغ فورا شهادة التصريح بالشغور النهائي إلى البرلمان الذي يجتمع وجوبا.

يتولى رئيس البرلمان مهام رئيس الدولة مدة أقصاها تسعون يوما، تنظم خلالها انتخابات رئاسية.

وإذا اقترنت استقالة رئيس الجمهورية أو وفاته بشغور رئاسة مجلس الأمة لأي سبب كان، يجتمع المجلس الدستوري وجوبا، ويثبت بالإجماع الشغور النهائي لرئاسة الجمهورية وحصول المانع لرئيس مجلس الأمة. وفي هذه الحالة، يتولى رئيس المجلس الدستوري مهام رئيس الدولة.

ارتسمت ابتسامة صفراء على وجه ابن الرئيس وهو يغمغم:

- هل تريدون التخلص مني ؟

صاح رئيس البرلمان مستنكرا:

- على العكس تماماً يا سيدي .. ولكنه الدستور ..

ضحك الابن ضحكة صغيرة ساخرة وهو يقول بتهكم :

- لم أكن أعرف اننا نطبق الدستور بهذه الصورة المثالية .

اعتدل المستشار فى مجلسه وهو يقول بجدية شديدة :

- صدقنا يا سيدى إننا فى موقف خطير .. وعلينا أن نفكر جيداً فى الخطوات القادمة .. التى لابد وأن تتفق مع نص الدستور حتى لا نزيد من الاحتقان فى الشارع ومن انتقادات العالم لنا ..

هتف الابن فى حدة هادرة :

- فليذهب أنتم والعالم الى الجحيم أما الشعب فيمكننى السيطرة عليه..

احتقن وجه المستشار وأراد أن يرد إلا أن رئيس الوزراء صاح قائلاً وهو ينظر الى هاتفه الخلوي :

- للأسف الأمور تزداد سوءا .. آخر التقارير من وزير الداخلية تؤكد بأن هناك مصادمات شرسة بين المتظاهرين ورجال الشرطة فى جميع الانحاء .. وهناك قتلى وجرحى من الجانبين وهو يحذر بأن امكانيات الشرطة الحالية لن تصمد أكثر من ٢٤ ساعة لو تصاعدت أعداد المتظاهرين ..

هتف الابن بمزيج من الحدة والحنق والغضب والازدراء ملوحاً بيده :

- فاشلين .. إننى أعمل مع زمرة من العجزة الفاشلين ..

احمر وجه رئيس الوزراء وهو يقول فى انفعال :

- سيدى .. انك ..

قاطعه الابن فى ضجر وهو يدير رأسه بعيدا عنهم قائلا :

- أتركوني الأن .. أريد أن أبقى بمفردي ..

تبادل الثلاثة النظرات الصامتة فى توتر واعتراض على اسلوب ابن الرئيس الذى لم يحترم أعمارهم وخبرتهم ومناصبهم ثم نهضوا فى وقت واحد والتفتوا جميعا مغادرين إلا أن رئيس الوزراء عاد وهو يقول بصوت مرتجف :

- ماذا عن الوفد الايطالي و..

عاد الابن يقاطعه بشئ من الغيظ والحنق:

- أبلغهم بأن الرئيس فى اجتماع مغلق ولن يقابل أحد أو يرد على هاتف أحد .. أما بخصوص الافتتاح غدا فأبلغ وزير الاعلام أن يقوم بعرض فيديوهات للمشروع وادماج فيديوهات اخرى قديمة للرئيس ودمجهما بإسلوب المونتاج المحترف .. (ثم اضاف محذرا بلهجة يملؤها التهديد) وإياك .. إياك أن يعلم أحد بمرض الرئيس .. (ثم نهض من مكانه وتحرك مبتعدا عنهم وهو يضيف دون أن يلتفت إليهم) وكما ذكرت من قبل لن يغادر أحداً هذا القصر إلا بإذن مباشر مني..

وغادر جميعهم الغرفة بينما اقترب من احدى النوافذ العملاقة التى تمتلئ بها الغرفة ونظر خارجها الى المدينة التى امتلأ سمائها بالأدخنة السوداء المتصاعدة من أعمال مقاومة الثوار لكافة الأساليب القمعية التى يتخذها الأمن ..

تنهد الابن بعمق وهو يقول فى قرارة نفسه :

- إننى أعرفهم جيداً .. اعرف كيف يفكرون .. وبماذا يخططون .. يريدون اقصائي من السلطة .. يريدون الاستيلاء على الحكم ..يريدون اعلان عجز والدى حتى يقيمون انتخابات رئاسية مبكرة وهم يعلمون جيداً أن الشعب لا يحبني ولا يريدنى .. التزوير فى وجودهم سيكون شبه مستحيل .. وهذا يعني أنه لابد من تنفيذ خطة عاجلة جدا لإبعادهم عن طريقي .. عن حلمي ..

ومستقبلي ..
وتشابكت الخطة ..
واتضحت ملامحها داخل عقله الشيطاني ..
واتخذ قراره ..
بدون أدنى تردد ..
وبلا رحمة ..

*****